المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون_ نيسان _ 2024

الظواهر الدلالية في كتاب

لطائف الاشارات لفنون القراءات للقسطلاني

اسم الطالب
ريبوار كامل حسن

اسم المشرف
أ.د. زياد الحج

المقدمة :

يتناول هذا البحث عدداً من الظواهر الدلالية لدراسة والتفصيل في كتاب لطائف الاشارات للقسطلاني ومن هذه الظواهر الاضداد و الترادف و المشترك اللفظي وتضمن البحث ايضاً الوقوف عند موقف علماء العربية من الترادف واختلافهم حول هذه الظاهرة . والكلامُ ايضاً على تاريخ ظهور مصطلح الترادف وأسباب حدوث الترادف وانواع الترادف زيادة على ذكر بعض التفصيلات المتعلقة بالأضداد والمشترك اللفظي .

- **الأضداد**

في لسان العرب ثمة ما يسمى بـ (الألفاظ المتضادة)، وهي وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب والتعبير في العربية، فكانت بهذا المعنى خصيصة من خصائص اللغة العربية في مرونتها وطواعيتها في التنقل بين السلب والإيجاب، والتعكيس والتنظير. واستعمالها يدل على اتساع العرب في كلامهم، وأن مذاهبهم لا تضيق عليهم عند الخطاب .

المراد بمصطلح الأضداد

(الضد) في اللغة يقع على معنيين متضادين، والمراد بمصطلح (الأضداد) الألفاظ التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون اللفظ الواحد منها مؤدياً لمعنيين مختلفين بدلالة السياق والسباق. وبعبارة أخرى: استعمال كلمة للدلالة على معنى معين، واستعمالها في الوقت نفسه للدلالة على عكس هذا المعنى. وكلمة (الضد) نفسها تدل على (المخالف)، وتدل على (النظير)، ومن أمثلة الألفاظ المتضادة قولهم: (جَلَل) للكبير والصغير، وللعظيم واليسير. و(الجون) للأسود والأبيض. و(القوي) للقوي والضعيف. و(الرجاء) للرغبة والخوف.

قال ابن فارس" :إن من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادَّين باسم واحد". وقد قال بعض أهل اللغة: "إذا وقع اللفظ على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع."

الموقف من الأضداد

الذي عليه أكثر أهل اللغة أن (الأضداد) موجود في لسان العرب، قال بذلك :الخليل، وأبو عبيدة، وابن جني، والزجاج، وغيرهم من أئمة اللغة، وكفى بهم سنداً فيه. وأنكره بعض أهل اللغة، كابن دريد، وابن درستويه .وقد رد ابن فارس على المنكرين بقوله: "وهذا ليس بشيء؛ وذلك أن الذين رَوَوا أن العرب تسمِّي السيف مهنداً، والفرس طِرْفاً، هم الذين روَوا أن العرب تسمِّي المتضادَّين باسمٍ واحد."

وقد يكون من المفيد القول: إن المنكرين لـ (الأضداد) حملوا الألفاظ التي تدل على معان متضادة على أنها من باب المشترك اللفظي، وبعضهم أرجعها إلى تعدد لغات العرب.

والمفسرون للقرآن الكريم أقروا بوجود ألفاظ (الأضداد) في اللغة والقرآن، وتحفظ بعضهم عليها. فالطبري عند تفسيره لقوله تعالى (فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ))(الانشقاق:16)، نقل أقوالاً في المراد من (الشفق)، ونقل عن بعضهم أن (الشفق) اسم للحمرة والبياض، وأنه من الأضداد، ولم يعقب على هذا القول، ما يدل على أنه يقر بوجود الأضداد. والقرطبي نقل كثيراً من أقوال أهل اللغة في المراد من بعض الألفاظ القرآنية على أنها من باب الأضداد، وصنيعه هذا يفيد أنه يقول بوجود ألفاظ الأضداد في اللغة والقرآن الكريم.

وعلى هذا سنن الطبري والقرطبي سار كل من البغوي، والبيضاوي، والرازي، وأبو حيان، وابن كثير، والآلوسي، وآخرون.

وقد تردد ابن عطية في القول بـ (الأضداد)، فتارة أنكره، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)(سبأ:33)، قال: "ولم يثبت قط في لغة أن (أسر) من الأضداد". ونحو هذا قوله عند تفسيره لقوله تعالى :((إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ)(طه:15)، فقد نقل عن بعض أهل اللغة أن المراد بـ {أخفيه} أي: أظهرها، وأن (أخفيت) من الأضداد. وعقب على هذا بقوله: "وهذا قول مختل". في حين عد كثير من أهل اللغة هاتين الكلمتين من

(الأضداد). وتارة أخرى أقره كما فعل عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾(الأعراف:83)، حيث نقل عن النحاس أن لفظ (الغابر) من الأضداد، يقال في الماضي وفي الباقي، وأما في هذه الآية فهي للبقاء، أي من الغابرين في العذاب. فنَقْلُه عن النحاس من غير تعقيب، يشير إلى قبوله بالقول بـ (الأضداد) .

وقريب من مسلكِ ابن عطية مسلكُ ابن عاشور، فقد تحفظ بالقول به تارة، كما هو صنيعه عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾(الواقعة:65)، حيث نقل عن الكسائي أن المراد من لفظ[ ] لتلهف على ما فات، وأن الفعل[ ] من الأضداد؛ ذلك أن العرب تقول: تفكهت، أي: تنعمت، وتفكهت، أي: حزنت. قال: "وادعى الكسائي أنها من أسماء الأضداد، واعتمده في "القاموس"، إذ قال: وتفكه، أكل الفاكهة، وتجنب عن الفاكهة ضده"، فقوله: "وادعى..." يومئ إلى أن ابن عاشور يتحفظ على القول بوجود ألفاظ الأضداد.

وكذلك فعل عند تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:79)، فقد ذكر أن بعض المفسرين فسر قوله سبحانه: [ ] بمعنى (أمامهم)، وعقب على ذلك بقوله: "فتوهم بعض مدوني اللغة، أن (وراء) من أسماء الأضداد، وأنكره الفراء، وقال: لا يجوز أن تقول للذي بين يديك: هو وراءك، وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي، تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد. يعني أن ذلك على المجاز. قال الزجاج: وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة". فقوله: "فتوهم..."، ونَقْلُه إنكار الفراء له، ثم نقله لقول الزجاج :إنه ليس من الأضداد، يدل مجموع ذلك على تحفظه على القول بالأضداد.

بيد أن ابن عاشور في مواضع أخر من تفسير نجده يقول بـ (الأضداد)، كما كان شأنه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير:17)، فقد نقل عن المبرد والخليل أن لفظ [عسعس]من ألفاظ الأضداد، يقال: عسعس الليل، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه. ونَقْلُه عنهما دون تعقيب أو تعليق يدل على أنه يقول بـ (الأضداد).

ألف في باب الأضداد جماعة من أئمة اللغة، منهم :قطرب، والأنباري، وابن الدهان، والصغاني، وآخرون.

ورد في القرآن جملة من الألفاظ التي يمكن تصنيفها على أنها من ألفاظ (الأضداد) من أمثلتها: قوله سبحانه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:4)، قال أهل اللغة: دان الرجل إذا أطاع، ودان إذا عصى، ودان إذا عز، ودان إذا ذل، فلفظ (الدين) من حيث الأصل اللغوي هو من الأضداد؛ وعلى هذا يكون المعنى: أن الله سبحانه هو مالك اليوم الذي يجازي فيه أهل طاعته، ويعاقب فيه أهل معصيته، ويعز فيه المؤمنين من عباده، ويذل فيه الكافرين.

قوله سبحانه : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:22)، أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله. قال أبو عبيدة : (النِّد) المثل والضد، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل والضد.

قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:52)، (عفت) الريح الأثر: أذهبته، وعفا الشيء: كثر، فلفظ (العفو) من حيث الأصل اللغوي من الأضداد؛ وسياق الآية يدل على أن المراد من (العفو) هنا المعنى الأول، وهو معنى محو الذنب. ومما جاء على المعنى الثاني قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف:95)، أي: كثرت أموالهم وأولادهم .

قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء:3)، (خفتم) من الأضداد؛ فقد يكون المَخُوف منه معلومَ الوقوع، وقد يكون مظنوناً؛ فلذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الخوف، فقال بعضهم: (خفتم) بمعنى أيقنتم. وقال آخرون: (خفتم) بمعنى ظننتم. قال ابن عطية :وهذا الذي اختاره الحذاق، وأنه على بابه من الظن لا من اليقين، والتقدير: من غلب على ظنه التقصير في القسط لليتيمة فليعدل عنها.

– قوله عز وجل: **{ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.** (البقرة:46)، (الظن) من الأضداد، يكون شكاً ويقيناً وأملاً، كـ (الرجاء) يكون خوفاً وأملاً وأمناً. و(الظن) هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين، فلا يذهب وهم عاقل إلى أن الله تعالى يمدح قوماً بالشك في لقائه. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ((خُذُوهُ فَغُلُّوهُ)(الحاقة:20)) وقوله سبحانه: (وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا) (الكهف:53).

– قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس:54)، (أسر) من الأضداد، يأتي بمعنى أظهر، ويأتي بمعنى أخفى، وهو المشهور فيها، كقوله سبحانه: (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)(البقرة:77). ويحتمل هنا الوجهين: أما الإظهار؛ فإنه ليس بيوم تَصَبُّرٍ ولا تَجَلُّد، ولا يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله؛ ولأن حالة رؤية العذاب، يتحسر الإنسان على اقترافه ما أوجبه، ويُظهر الندامة على ما فاته من الفوز، ومن الخلاص من العذاب. وأما إخفاء الندامة، فقيل: أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياء منهم، وخوفاً من توبيخهم، قال أبو حيان" :وهذا فيه بُعد؛ لأن من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه، فكيف له فكر في الحياء، وفي التوبيخ الوارد من السفلة."

ونظير هذا قوله تعالى : (إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ) (طه:15)، قال المفسرون: (أخفى) من الأضداد، بمعنى الإظهار، وبمعنى الستر. والآية تحتمل المعنيين.

قوله عز وجل: ((مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ)(إبراهيم:43)، يقال: أقنع الرجل رأسه إذا رفعه، وأقنع إذا طأطأ رأسه ذلة وخضوعاً، والآية محتملة الوجهين؛ وبناء عليه يكون معنى الآية: رافعي رؤوسهم، ينظرون في ذل، قاله ابن عباس .وقيل: المعنى: ناكسي رؤوسهم. قال القرطبي" :والقول الأول أعرف في اللغة."

قوله تعالى: ((حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(الحج:31) لفظ (الحنيف) من الأضداد، يقع على الاستقامة، ويقع على الميل، والآية تحتمل الوجهين؛ فيكون المعنى: مستقيمين على صراط الله، أو مائلين إلى الحق.

قوله سبحانه: (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (إبراهيم:17)، الظرف (وراء) هو من الأضداد، يقال: هذا الأمر من ورائك، أي سيأتيك بعد، وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه، وهو هنا بمعنى: بعد. وقيل:[ومن ورائه] أي: من أمامه. ونظير الآية قوله عز وجل(مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ)**(إبراهيم:16) أي: من بعد هلاك هذا الكافر جهنم يصلاها وبئس المصير. والمثل الأبرز هنا قوله** تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ

فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:79)، أي: أمامهم، وإلى هذا ذهب جمع من أهل اللغة والمفسرين.

– قوله سبحانه: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (القلم:20)، (الصريم) الصبح سمي بذلك؛ لأنه انصرم عن الليل. و(الصريم) الليل؛ لأنه انصرم عن النهار. فإن كان المراد بـ (الصريم) في الآية الليل؛ فلاسوداد موضعها. وإن كان المراد به النهار؛ فلذهاب الشجر والزرع، ونقاء الأرض منه.

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (البقرة:26)، (فوق) تكون بمعنى (فوق)، وتكون بمعنى (دون)، والآية تحتمل المعنيين؛ فعلى الأول يكون معنى الآية: إن الله يضرب المثل بالبعوضة فما فوقها من المخلوقات، وعلى الثاني يكون المعنى: إن الله يضرب المثل بالبعوضة فما دونها من المخلوقات.

قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13)، لفظ (الشعب) بفتح الشين من الأضداد، يدل على الافتراق، ويدل على الاجتماع، يقال: شعبته إذا جمعته، وشعبته إذا فرقته، ومنه سميت المنية شعوباً؛ لأنها مفرقة. قال الخليل" :من عجائب الكلام ووسع العربية، أن الشعب يكون تفرقاً، ويكون اجتماعاً. والآية هنا تحتمل الوجهين، وقد ذكرهما الرازي:

أحدهما: جعلناكم شعوباً متفرقة، لا يُدرى من يجمعكم كالعجم، وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبني إسرائيل.

ثانيهما: جعلناكم شعوباً داخلين في قبائل؛ فإن القبيلة تحتها الشعوب، وتحت الشعوب البطون، وتحت البطون الأفخاذ، وتحت الأفخاذ الفصائل، وتحت الفصائل الأقارب.

قوله عز وجل:(نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ)(الواقعة:73)، (المقوي) من ألفاظ الأضداد، يكون بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى إذا

قويت دوابه، وكثر ماله. والآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر، والمقيم، والغني، والفقير.

- **الترادف**

الترادف في اللغة مأخوذ من الرديف، وهو: اتّخاذ اثنين لنفس الدّابة مركبًا، وهو مشتقٌ من الفعل ردف، أو المصدر: الردف، والردف: ما تبع الشيء، فكلّ شيءٍ يتبع شيئًا فهو رديفه، ويقال: جاء القوم رُدافى، أي يتبع بعضهم بعضًا، وقد فسّر الزجّاج قوله تعالى: تفسير(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) [1]بمعنى أنّ الملائكة يأتون فرقة بعد فرقة، وأمّا اصطلاحًا: فهو توالي الألفاظ المفردة الدّالة على مسمّى واحد باعتبارٍ واحدٍ[2]. بيان التّعريف: في قولهم "توالي الألفاظ" يعني تتابعها، و"الألفاظ" أي اثنان فأكثر، وفي قولهم "المفردة" قد أخرجوا بذلك الألفاظ المركّبة، وفي قولهم "الدّالّة على مسمّى واحد" قد أخرجوا بذلك الألفاظ ذات المعاني المختلفة؛ إذ لا ترادف فيها، وفي قولهم "باعتبار واحد" قد أخرجوا أمرين، الأوّل: هو توالي الكلمات المفردة التي تدلّ على المعنى ذاته ولكن باعتبار أمرين، مثال: السيف والصّارم والمهنّد، فهذه الكلمات ليست مترادفة لاختلافٍ في المعنى، والثاني: أن يتوالى لفظان يدلّان على مسمّى واحد، لكن أحدهما عن طريق الحقيقة والآخر عن طريق المجاز، مثل: الأسد والشّجاع للإنسان القوي، فإنّ لفظة "الشجاع" تدلّ عليه عن طريق الحقيقة، وأمّا لفظة "الأسد" فيدلّ عليه مجازًا[3].

أمّا المشترك اللفظي فهو وجود لفظة تؤدي معنيين مختلفين، فهو على عكس الترادف، ومثال المشترك اللفظي قول الشّاعر: يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذا رحل الجيران عند الغروب أتبعهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب كانوا وفيهم طفلة حرّة تفتر عن مثل أقاحي الغروب فالغروب في البيت الأول هو غروب الشمس، والغروب في البيت الثاني هو الدلو الممتلئ، والغروب في البيت الثالث هو الوهاد المنخفض، بينما يكون الترادف باختلاف اللفظ مع مطابقة المعنى[4].

تاريخ ظهور مصطلح الترادف

اعتنى علماء اللّغة العربيّة القدماء بمسألة الفروق اللغويّة عناية كبيرًا وظهر مصطلح الترادف في فقه اللغة وعلومها، وكان أول من وضع كتابًا مستقلًّا يبحث فيها هو الجاحظ، بعنوان "كتاب الفرق في اللغة"، وبعض العلماء قد تناولوا مسألة فروق اللغة في بابٍ من أبواب كتبهم، مثل ابن قتيبة الذي جعل في كتابه "أدب الكاتب" بابًا يذكر فيه ما يضعه الناس في غير موضعه، وكذلك فعل ابن مكّي الصّقلي، فتناول مسألة الفروق اللغوية في بعض أبواب كتابه "تثقيف اللسان"، فقد لاحظ هؤلاء العلماء كثرة الألفاظ المتقاربة التي تستعمل للمعاني ذاتها، فعدّوا ذلك فسادًا في اللغة، وسعوا إلى بيان ذلك وتصحيحه[5].

أنواع الترادف

علامَ اعتمد العلماء عند تقسيمهم الترادف على أنواع؟ ينقسم الترادف على قسمين رئيسَين فيما يأتي بيانهما. الترادف التام وهو نادر الوقوع، وهو حين يتطابق اللفظان بالمعنى تطابقًا تامًّا بحيث يمكن استعمال أيّ منهما في السياق دون تفريق بينهما، ومثاله من القرآن قوله تعالى: [6] ، فالطهارة هي الزكاة والزكاة هي الطهارة، ومنه أيضًا قولهم: أنصاف أو أشباه مترادفات، ولا يمكن استعمالها في السياق نفسه إلا بالتمييز بينها، أي وجود جانب من المعنى في كل لفظ لا يكون موجودًا بالآخر.

الترادف الجزئي وهذا النوع من المترادفات يصعب على الكثير التمييز بينهما، إذ لا يميّز الفرق بينهما إلا العالم باللغة، وفي التراث العربي ذكر كبير لهذه الفروق ومن ذلك ما جاء في نظرية التحليل التكويني لأبي هلال العسكري، إذ يبيّن الفرق بين المدح والتقريظ، فيجد أنّ المدح يكون للحي والميت، أمّا التقريظ فلا يكون إلّا للحي، وخلافهم التّأبين فلا يكون إلّا للميت، والفرق بين المدح والثّناء أنّ الثناء مدح متكرّر، أمّا المدح فلا يكون متكرّرًا، وغير ذلك من المتشابهات.

أسباب حدوث الترادف

ثمّة أسباب كثيرة أدّت لحدوث الترادف في اللغة العربيّة، ومنها:

اختلاف المراد بين قبائل العرب أن يرد اللفظان المترادفان من واضعَين مختلفَين، فأحدهما يضعه لمعنى فيشتهر به في قبيلته، والآخر يضع لفظ آخر لذات المعنى ويشتهر في قبيلته أيضًا، ثمّ يُشتهر اللفظان بحيث لا يتميّز أحدهما على الآخر ولا يُعرف واضع كلٍّ منهما، وهذا هو السبب الأكثر كما ذكر فخر الدين الرازي(7).

واضع واحد أن يرد اللفظان المترادفان من واضعٍ واحدٍ، ويكون هدفه من وضع لفظين لمعنى واحد هو إحدى هذين الأمرين، إمّا: تكثير طرق الإخبار عمّا في النفس، وتكثير الطرق للمعنى المطلوب، فحينها يكون المتكلّم مخيّرًا باستعمال اللفظ الذي يريده، وإذا عسر عليه التعبير والنطق بأحد اللفظين يعبّر بالآخر، ومثال ذلك يعبّر مَن لا يستطيع النطق بالراء "بالقمح" بدلًا عن "البر"، وكذلك إن أراد الشخص التعبير عن معنًى معيّن ونسي اللفظ فإنّه يلجأ إلى المعنى المرادف له في التّعبير عن ذلك المعنى، وإمّا التوسّع في مجال النظم والنثر والقافية والتجنيس، فالنظم الكلام الموزون، والتجنيس اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه واختلافها في المعنى، وذلك على نحو قولهم: اشتريتُ البُر وأنفقته بالبِر، فإنّه أجمل من القول: اشتريتُ القمح وأنفقته بالبر.

اختلاف ألسنة القبائل أن تكون صفات يتصرّف في وضعها أفراد كل قبيلة، فلا تختص بوضع واحد بسبب اختلاف السبب والحالة التي حملت على وضعها، ثمّ تنزل هذه الألفاظ منزلة الحقائق، بعد أن يكون قد كثر استعمالها، وتلتحق ألفاظها بأصل اللغة، وهذه هو القسم الأكبر من المترادفات، وأشهر ما ورد منه أسماء العسل وهي ثمانون، والأسد وقيل خمسمئة، والحيّة وقيل مئتان، وغير ذلك.

اختلاف العلماء حول ظاهرة الترادف

اختلف العلماء في وجود التّرادف في اللغة فانقسموا بذلك على فريقين: المؤيدون لوجود الترادف هذا ما كان عليه جمهور العلماء منهم سيبويه وأبو الحسن الرماني وابن خالويه وحمزة

بن حمزة الأصفهاني والفيروز آبادي والتهانوي والأصمعي وغيرهم، فأجازوا الترادف وأيدوا وجوده، وهو الصّحيح عند أكثر العلماء لسببين: الأوّل أنّه لا يترتّب على وجوده حصول محال، والثاني: لأنّه قد وقع في اللغة، وهذا دليلٌ كافٍ على جوازه، فبعد التمعّن والبحث في ألفاظ اللغة ثبت وجود التّرادف فيها، وأيضًا لما للترادف من فوائدٍ كثيرةٍ، فمن فوائد الترادف تعدّد الألفاظ للمعنى الواحد مما يساعد في استعمال أي من الألفاظ المترادفة في السياق نفسه ، فمثلًا يمكن القول "النأي" أو "البعد" فالكلمتان تدلّان على المعنى ذاته، وهذا ما يدعى الترادف الدلالي(8).

المنكرون لوجود الترادف لقد نسبوا هذا الرأي إلى ابن فارس وشيخه ثعلب وغيرهم من مثل ابن درستويه وأبو علي الفارسي وأبو الهلال العسكري والبيضاوي وغيرهم من علماء اللغة العربية، ودليلهم: أنّه بالاعتراف بوقوع التّرادف يلزم ذلك الاعتراف نقض الغرض الذي وضعتْ لأجله الألفاظ وخاصّة في القرآن الكريم، من حيث إنّها قد وضعتْ لتحصيل الفائدة والتي حصلتْ بأحد اللفظين المرادفين إذا ما قيل بوجود الترادف، وبهذا يكون اللفظ الآخر غير مفيد ولا قيمة له، وهذا محال، ويرون أنّ كلّ لفظةٍ في اللغة قد وضعت لمعنى خاص بها، لا يسعه غيرها من الألفاظ. كما حاكم المنكرون وجود الترادف بمقياس العقل فلم يجدوا له داعٍ، وبهذا أقرّت بعض الدراسات اللغوية الحديثة(9).

هذا الاختلاف بين الفريقين سببه غموض هذا المصطلح في أذهان اللغويين، فلو أنّ اللغويين قد وضعوا مفهومًا معينًا لمصطلح التّرادف يكون مقياسًا للحكم على الألفاظ من ترادف وغيرها لما حصل هذا الخلاف، ولكن لعلّ ما يسوّغ لهم ذلك هو كثرة بحثهم في اللغة والذي قد يوصل أحيانًا إلى الغموض.

إنّ الترادف في القرآن الكريم هو إمّا نادر وإمّا قليل وإمّا معدوم، والأصحّ أنّه معدوم، فلا يوجد كلمة في القرآن الكريم تساوي كلمةً أخرى، فقد قلّ التعبير عن المعنى بلفظٍ يمكن للفظٍ آخرٍ أن يعبّرَ مكانه عن المعنى ذاته كاملًا، بل يكون قريبًا من معناه، وحتّى هذا التقريب يكون به

اختلافٌ بين العلماء، فكلٌّ من العلماء يقرّب المعنى﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ببعضه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن الكريم. فإذا قيل: "الوحي" فذلك يعني الإعلام، أو قيل: [10]، أي: أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [11]، بمعنى أعلمنا، فهذا كلّه تقريب لا تحقيق، فإنّ الوحي مثلًا هو إعلامٌ سريعٌ خفيٌّ، والقضاء إليهم أخصّ من الإعلام؛ فإنّ فيه إنزالًا إليهم وإيحاء إليهم، وعليه فإنّ جميع ما جاء من تفسير القرآن ليس تفسيرًا حقيقيًّا، بل هو ما تيسّر للمفسّر من فهم، فهو نقلٌ للمعاني، وأمّا اللفظ بنفسه فإنه في اللغة لا يمكن تفسير شيء بشيء، ومن هذا الوجه مُنعَتْ ترجمة القرآن حرفيًّا؛ لأنّه لا يمكن لأحد أن يترجم القرآن بمعانيه، إنّما يستطيع أن ينقل تفسيره.

أمثلة على الترادف قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [12].

قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ [13].

قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [14].

قوله تعالى: وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [15] .

جاء في أمالي القالي: "حدّثني أبو بكر بن دريد قال حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين قال حدثنا المازني قال: سمعتُ أبا سرار الغنوي يقرأ: {وإذا قتلتم نسمةً فادّارأتم فيها}، فقلتُ إنّما هي نفسٌ، فقال: النسمة والنفس واحد"[17].

جاء في لسان العرب: "قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: قُلْتُ لأَعْرابي مَا المُحْبَنْطِئُ؟ قَالَ: المُتَكَأْكِئُ، قُلْتُ: مَا المُتَكَأْكِئُ؟ قَالَ: المُتآزِفُ، قُلْتُ: مَا المُتَآزِفُ؟ قَالَ: أَنت أَحمقُ وتَرَكَني

- المشترك اللفظي

هناك ألفاظ لها أكثر من معنى، وأكثر من مدلول في وضع اللغة، بأن تكون قبيلة من القبائل العربية قد استعملت اللفظ في معنى غير الذي استعملته قبيلة أخرى، فينزل القرآن الكريم بهذه الألفاظ المشتركة بين تلك المعاني المختلفة، فيقع الإبهام بسبب اشتراكها، كما وقع بسبب إجمالها.

وهناك فرق بين المجمَل والمشترك، وهناك فرق بين المشترك اللفظي والمعنوي، كما أن هناك فرقًا بين العام والمجمَل، والخاص والمقيد.

وهذه الفروق تفهم من تعريف كل واحد منها.

وسنحاول هنا أن نجلو لك معنى المشترك بصوره المختلفة، ونبين لك أسبابه، وحكمه، وغير ذلك من المسائل التي تتعلق به، وذلك بإيجاز.

حدد معناه السيوطي بالنقل عن ابن فارس في فقه اللغة بقوله: وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين، فأكثر دلالة على السواء عن أهل تلك اللغة.

فمن خلال هذا التعريف يتبين أن عمود المشترك اللفظي هو الدلالة؛ لأن اللفظ الواحد يدل على معنى أو أكثر.

المشترك اللفظي: لفظ وُضِعَ لمعنيين أو أكثر بأوضاع متعددة، فهو إذن لم يوضع لمجموع ما يدل عليه بوضع واحد، بل بأوضاع متعددة، أي :وُضِعَ لكل معنًى من معانيه بوضع على حدة، كان يُوضَعُ لهذا المعنى، ثم يوضع مرة ثانية لمعنًى آخر، وهكذا. فمن المشترك الموضوع لمعنيين فقط "القرء:" فقد وُضِعَ للطهر والحيضة. ومن المشترك الموضوع لأكثر من معنيين، لفظ "العين"، فقد وُضِعَ لمعانٍ عدة ، منها :العين الباصرة، وعين الماء، والجاسوس، والسلعة.

ووضع هذا اللفظ لهذه المعاني كان وضعًا متعددًا، أي :وضع لكل معنى من هذه المعاني وضع على حدة.

الخاتمة :

1. عد الأضداد وسيلة من وسائل التنوع الأساليب واستعماله يدل على اتساع العرب في كلاهم.
2. وجود الاضداد في لسان العرب باتفاق أغلب علماء اللغة وفي مقدمتهم الخليل وأبو عبيدة
3. ورود طائفة من الألفاظ التي تحمل سمت الاضداد دليل على اثباته كظاهرة في القران الكريم
4. اعتناء العلماء بظاهرة الاضداد دعاهم إلى تأليف كتب في هذا المجال .
5. لم يقف اهتمام العلماء الظاهرة الامتداد فحسب وانما اخذ اتجاهاً في الترادف كذلك من خلال تألف كتب فيه ولعل الجاحظ كان من الاوائل في هذا المجال .
6. ثمة اسباب كانت لها الدور الكبير في نشأة الترادف ذكرناها في ثنايا البحث وكان منها اختلاف المراد بين قبائل العرب فاحدها يضعها المعنى والآخر يضيفها لمعنى آخر.
7. توصل البحث الى وجود فرق بين الجمل والمشترك اللفظي وهناك فرق بين المشترك اللفظي والمعنوي .

مصادر والمراجع

1. سورة الأنفال، آية:9
2. المهذب في علم أصول الفقه المقارن ,عبد الكريم النملة، (الطبعة 1)، الرياض: مكتبة الرشد، صفحة 121، جزء 3
3. المشترك اللفظي في الحقل القرآني ,عبد العال سالم مكرم، (الطبعة 2)، بيروت: مؤسسة الرسالة، صفحة 15
4. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، القاهرة: دار العلم والثقافة، صفحة 20
5. سورة التوبة، آية:103
6. تاريخ آداب العرب , مصطفى صادق الرافعي، (الطبعة 1)، القاهرة: دار البشير، صفحة 126، جزء 1
7. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، بيروت: دار الفكر المعاصر، صفحة 71
8. شرح مقدمة التفسير لابن تيمية, صالح آل شيخ، صفحة 10، جزء 5.
9. سورة النساء، آية:163
10. سورة الإسراء، آية:4
11. سورة طه، آية:107
12. سورة النجم، آية:2
13. سورة المائدة، آية:48
14. سورة البقرة، آية:255
15. سورة الأنعام، آية:32
16. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 323، جزء 1
17. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة: الثانية -١٩٩٩م، ص238